* هذا الاستنتاج نابع من لملاحظات التي أبداها كولومبس عن الهنود في رحلته

23- فتح أمريكا ومسالة الأخر فتح : تزفيتان تودوروف تر بشير السباعي تقديم فريال جبوري غزول ص22

24- فتح أمريكا ومسالة الأخر فتح : تزفيتان تودوروف تر بشير السباعي تقديم فريال جبوري غزول ص50

25-المرجع نفسه ص21

26- المرجع نفسه ص33

27- صورة الأخر العرب ناظرا ومنضورا إليه تحرير الطاهر لبيب إعداد مركز دراسات الوحدة العربية ط2 2008 بيروت لبنان ص21

العقدة الأوديبية في رواية " بحثا عن الزمن المفقود" لـ " مارسيل بروست "

مسعودي فاطمة الزهراء*

تألف رواية "بحثا عن الزمن المفقود" A la recherche du temps perdu- لـ " مارسيل بروست " -Marcel Proust- من سبعة أجزاء ، يحمل الجزء الأخير منها عنوان : "الزمن المستعاد" الذي هو نوع من التأمل في مضامين الأجزاء الستة الأولى.

و يبلغ عدد صفحات الرواية بأجزائها قاطبة ما مجموعه ألفان و أربع مائة صفحة حسب أحدث طبعة توفرت لدينا عن دار "غاليمار" لسنة 1999 ، تحت إشراف الناقد الفرنسي "جون إيفاس تاديه" ، و التي تمّ إخراج جميع أجزائها في مجلد واحد ضخم.

ينقسم الجزء الأول المعنون بـ :**جوار آل سوان** : Du coté de chez Swann إلى ثلاثة أقسام على النحو الآتي :

- كومبراي: Combray

- غرام سوان : Un amour de Swann

- أسماء البلدان : الاسم : Noms de pays : Nom

أما الجزء الثاني المعنون بـ :**في ظل فتيات صبايا بعمر الزهور** Al'ombre des jeunes filles en fleurs فينقسم هو بدوره إلى قسمين

-حول السيدة سوان : Autour de Mme SWANN

-أسماء البلدان : البلدة : Noms de pays : Le pays

ثم يليه الجزء الثالث الموسوم بـ : **جوار آل غرمانت** : Le coté de Guermantes

ثم الجزء الربع الموسوم بـ : **سدوم و عمورة** : Sodome et Gomorrhe

ثم الجزء الخامس المعنون بـ :**السجينة** : La prisonnière

ثم الجزء السادس :"**ألبرتين" الهاربة**، التي سميت في الطبعات الأولى "**ألبرتين" المفقودة** Albertine Disparue (ou la fugitive)

ثم تختم الرواية بالجزء السابع و الأخير :**الزمن المستعاد** : Le temps retrouvé الذي هو في الحقيقة حصيلة تجارب الراوي و قد بلغ مرحلة الكهولة.

على هذا النحو،إذن، تتألف رواية 'بروست' الضخمة التي وصفها "تاديه" بالرواية الموسوعية لأنها ضمّت كل الأجناس و كل الفنون.[1] و يمكن اعتبارها من جهة أخرى "العمل الوحيد الذي أورثه لنا "بروست" ، و الوحيد الذي يعدّ إبداعه النهائي إذ يشكّل عالما كاملا يجمع لنا فكره و قلبه".[2] و من هذا المنطلق تكاد تتحول الرواية إلى سيرة ذاتية، إن لم نقل هي سيرة ذاتية، تسجل لنا ، على نحو دقيق و رائع تجارب المؤلف ومواقفه الحياتية و تعكس لنا صورة عصره و مجتمعه بأسلوب أراده يكون متميزا، إن على مستوى اللغة، أو على مستوى التقنية. و لهذا فكثير من الدارسين يميلون إلى وصف عمل "بروست"بالسيرة الذاتية. وهذا الافتراض تدعمه ... التي تم اكتشافها واعترافات معاصريه التي تتعلق بـ

الشخصية، و مواقفه من أحداث عصره التي تضمنها عمله الروائي. لذلك يؤكد "جلبير سيغو" (Gilbert Sigaux) بأن (بحثا عن الزمن المفقود) "هو بالفعل عمل شخصي بالمعنى الدقيق و متفكك في النهاية، هو عمل لا يقبل الفصل عن تجربة مبدعه الخاصة ، ولوحة يصل فيها هذا المبدع إلى موضوعية "كلاسيكية" ، وهو أيضا أخبار مجتمع (أو عصر أو جزء من الزمن) و تحليل أعدّه كاتب أخلاقي [illegible]"[3]. و بالإضافة إلى ذلك يرى "بيار لويس راي" (Pierre louis Rey) بأن "البطل الراوي يشبه إلى حد كاف مارسيل بروست ، حتى ليخيّل إلينا أننا نقرأ سيرة ذاتية ، تكاد تكون مقنعة"[4]. و لعل هذا النزوع الشخصي في رواية 'بروست' هو الذي دفع النقاد إلى تصنيفها ضمن رواية الدوافع الذاتية[5] لأن منطلقها في عرض الأحداث و تصوير سلوك الشخصيات هو منطلق ذاتي محض ، ينبع من داخل وعي الراوي/البطل ، الذي هو ههنا "مارسيل" ، إمّا عبر التذكر اللاإرادي أو التأمل الداخلي، و هكذا يتحول موضوع الرواية مع "بروست" –كما يعبر "ميشال ريمون" (Michel Raimond) – إلى "العالم ذاته منسوجا من العواطف و الصور"[6]، بعيدا عن النزعة الكلاسيكية العقلية للقرن التاسع عشر. و عليه يمكن القول إن عمل "بروست" المتميز "بحثا عن الزمن المفقود" يعدّ فاتحة عهد جديد في تاريخ الرواية الحديثة ، ذلك أنه استطاع على نحو معين : أن يؤسس لتقاليد جديدة في الكتابة الروائية ، لعل أبرزها ما عبّر عنه "تاديه" نفسه حين وصف إنجاز "بروست" بأنه "ذلك العمل الذي لا يرضى بحدود الرواية ، و حدود القصيدة ، و يريد أن يكون كل شيء ، في الوقت نفسه ، تركيبا "[7].

و تكشف رواية " بحثا عن الزمن المفقود " عن خط سيري ، مضمر في ثنايا
الخطاب الروائي ، عرف الروائي كيف يموّهه فنيا على القارئ . و عليه ، يمكن القول
إن هذه الرواية الضخمة تحكي قصة شخصية، قصة الماضي الشخصي الممتد من
الطفولة إلى البلوغ، و المستحضر في زمن الكتابة، مع أن هذا الماضي قد يتقاطع مع
التاريخ و تحولاته الاجتماعية.

و نحن إذ سنخضع هذا الماضي المكتوب روائيا لرؤيا التحليل النفسي، فلا
نزعم أنه الماضي الحرفي ، الشخصي للكاتب ، مع اعتقادنا بأن ماضي البطل الروائي
قد يتقاطع في كثير من جوانبه مع ماضي الروائي، "فالشخصيات الروائية تصدر، إ
جملة ما تصدر عنه، عن لاشعور الروائي"[8]، مع الإقرار في الوقت نفسه "بأن لاشعور
البطل الروائي مستقل، بقدر، قد يكثر أو يقلّ، عن لاشعور الروائي"[9]. و لذلك
سنضطر متى دعت الحاجة إلى العودة لسيرة الكاتب ، في تحليلنا لسيكولوجية البطل
في "البحث".

لعل إحدى الظواهر المهمة التي تلفت نظر القارئ لمحتوى الرواية هي علاقة
البطل بوالديه : الأم و الأب إذ تكتسي أهمية قصوى في تكوين جوهر البطل النفسي
وترسم مساره الحياتي في علاقته بالمرأة من ناحية، وبالمجتمع من ناحية أخرى. وهي
علاقة اتخذت منحى مرضيا يمكن وصفها في ضوء التحليل النفسي بالعقدة الأوديبية.

فما هي **العقدة الوديبية**؟

يرى "سيجموند فرويد" (Sigmand Freud) (1856 -1939) بأن
الموقف الأوديبي قدر، يمرّ به كل طفل، و ينتج بالضرورة من فترة الاعتماد الطويل
الطويلة على الأبوين. ومضمون هذه العقدة موجود في الأسطورة اليونانية "أوديب

ملكا" لـ "سوفوكليس" (Sophocle) ، غير أن مضمونها التحليلي طاله التحريف
قتلها "أوديب" (Œdipe) يرتكب ما ارتكب عن جهل بحقيقة أمه و أبيه.

إن عقدة أوديب تنشأ من ارتباط الطفل بثدي أمه، ثم بشخص أمه كليا ،
بوصفها موضوعا لبيبديا، إذ هي لا تكتفي بإطعامه و حسب، بل و تثير فيه
إحساسات حسمية ، بعضها لاذّ، و بعضها الآخر مؤلم. فتغدو بذلك أوّل مغوية
للطفل لعنايتها بجسمه، و بفضل هاتين العلاقتين : الإطعام و العناية بالجسم ،
تكتسي الأم أهمية فريدة، لا تضاهى، و لا تتغير، و لا تزول مدى الحياة.

و مهما طالت رضاعة الطفل، سواء من ثدي أمه أو من البزّازة، فسيظل بعد
الفطام موقنا بأنها كانت فترة شحيحة ، بالغة القصر. و مع المرحلة القضيبية (السنة
الثانية و الثالثة من عمر الطفل) ، ينمو الشعور لدى الطفل بذكورته ، فيتمنى أن
يمتلك أمه ملكا جسديا له على النحو الذي استنتجه من مشاهداته وتخميناته عن
الحياة الجنسية ، و إذاك تدفعه ذكورته المبكرة إلى السعي للحلول محل أبيه عندها.
وإذا كان أبوه حتى الآن موضع غيرة و حسد ، للقوة الجسدية التي يتمتع بها،و
السلطة المعنوية التي يمتلكها ، أصبح الآن منافسا يعترض طريقه ، ويتمنى إبعاده.
وحاله فهو أثناء غيبة أبيه يشاطر أمه الفراش و يشعر شعورا عميقا بالرضا، في حين
يشعر بالسخط عند عودته.

و إذ تفهم الأم أن تهيّج طفلها الجنسي منصبّ عليها، فإنها تحاول أن تمنعه
من العبث اليدوي بعضوه، وحين لا تفلح ، فإنها تعمد إلى تهديده ببتر ذلك الشيء،
أو تهدده به وتعلن له أنها ستترك مهمة تنفيذ ذلك إلى الأب، غير أن الطفل لا
يعير هذا التهديد محمل الجد إلا حين يتذكر منظر الأعضاء التناسلية الأنثوية .

وحينها يقع تحت تأثير عقدة الخصاء، و يعاني أقسى صدمة في حياته المبكرة . ويؤدي التهديد بالخصاء إلى تحديد علاقة الطفل بأمه و أبيه، و من ثم بالرجال والنساء عامة. و حتى يبقي على أعضائه التناسلية ، فإنه يتجاوز مطلبه بامتلاك أمه تجاوزا يكاد يكون تاما. غير أن حياته الجنسية غالبا ما تظل رهينة وطأة التحريم (تحريم الأم) . و إذا كان لديه ما يسمى مقوّما أنثويا قويا ، فإنه سيتعاظم بالتهديد الموجه إلى ذكورته، و حينئذ ينتقل إلى موقف سلبي تجاه أبيه، يماثل موقفه من أمه (المحرمة) . ومع ذلك ستظل صورة الأم هي المسيطرة على أخيلة الطفل الجنسية، التي من خلالها يتوحد بأبيه (يحل محله تخيليا)، كما يتوحد بأمه. وسيكون لهذه التخيلات أثرها في تغذية أنوثة الطفل ، و تزايد قلقه من أبيه، وكرهه له. و لا تبرز ذكورة الطفل إلا فيما يشبه التمرد على أبيه ، و هذا ما يؤثر حتما في علاقته بالمجتمع لاحقا. و كثيرا ما تبقى رواسب من التعلق الشهواني بالأم ، في صورة الاعتماد المفرط عليها. و تتأكد في صورة موقف الخضوع تجاه النساء. و بعدها لا يخاطر هذا الطفل بعشق أمه ، غير أنه في الوقت نفسه لا يحتمل فقدان محبتها له، و إلا ظل مهددا في هذه الحالة بإيقاع العقاب عليه من خلال الوشاية به عند أبيه. و سيكون لهذه التجربة المخزّنة في اللاشعور أثرها في تعطيل النمو اللاحق للأنا بعد البلوغ، ببعث تلك التثبيتات الليبيدية القديمة التي تعطل الاتصال الجنسي الطبيعي، فتبدو الحياة الجنسية مجردة من الوحدة ، مبددة بين حوافز متصارعة. و هكذا تكون هذه الخبرات الطفولية مصادر لاضطراب السلوك في المستقبل[10].

ذلك هو بإيجاز مضمون العقدة الأوديبية ، التي ارتأينا أن نستعرضها لتحليل السلوك الأوديبي لبطل "البحث". و فيما يأتي تفصيل ذلك :

لعل التجربة الأكثر إسعادا و إيلاما في الوقت نفسه، بالنسبة لـ "مارسيل الراوي /البطل، هي انتظاره الممضّ لقبلة أمه التي اعتادها كل مساء ، عندما يأوي إلى فراشه للنوم، في تلك الليلة التي زارهم فيها جارهم "سوان" ، إذ اضطر الأب أن يصرفه خلال مأدبة الطعام إلى غرفته في الطابق الأعلى قبل أن يحصل على قبلة الأمومة المعهودة. و لنتأمل هذه الأسطر التي يصف لنا فيها الراوي الأهمية الفريدة لهذه القبلة في نفسه بوصفها إشباعا للرغبة اللاشعورية في الاتحاد بالأم ، يقول :

" لم تكن أمي تغادر عيني. كنت أعلم بأنني حين نجلس إلى المائدة لن يسمح لي بالبقاء طوال فترة العشاء. و حتى لا تغيض أمي أبي لم تكن تترك لي العنان لتقبيلها في كل مرة أمام الملأ كما لو كان الأمر يحصل في غرفتي، كذلك كنت أعلل النفس، و نحن في غرفة الطعام، عند بدء العشاء و عندما أشعر بدنو الموعد ، أن أحمل سلفا من هذه القبلة التي ستكون قصيرة وخاطفة، كل ما أستطيع أن أفعله وحدي، و ذلك بأن أختار ببصري جزء الخد الذي أقبله ، و أن أهيئ ذهني حتى أستطيع بفضل هذه البداية الافتراضية للقبلة أن أكرّس كل اللحظة التي تمنحها لي أمي لاستشعار خدها بين شفتي"[11]

ألا يكشف هذا المقطع الاستذكاري عن نزعة اشتهائية لاشعورية ، إذ يتغزل الراوي "الطفل" بأمه على هذا النحو، بوصفها موضوعا ليبيديا : ليست القبلة المأمولة إلا تعليا من تعلياته الجنسية ؟ غير أن تدخل الأب، وامتناع الأم عن تحقيق رغبة ابنها في تلك الساعة ، سيؤدي إلى زيادة توتره و قلقه ، فيمضي وقتا طويلا في انتظار [...] أمه لكن دون جدوى ، على الرغم من أنه بعث إليها برسالة مع الخادمة "فرانسواز" (Françoise) ، لعلها تأتي لتهدئة روعه، واصفا ما يدعوها إليه من

أمن الحضور بالأمر الخطير. يقول: "كتبت إلى أمي متوسلا أن تصعد لأمر خطير، لا أستطيع الإفصاح عنه في رسالتي."[12] و مع ذلك ، ظل ينتظر حتى انصرف الضيف إلى وقت متأخر، ليعترض طريق والديه في الردهة المؤدية إلى غرفتهما ، مما جعل الوالدين يندهشان لرؤية 'بنهما، واقفا ينتظر قدوم أمه. و يصف لنا الراوي "الطفل" هذا الموقف الحساس و المحرج حين وقف لا يحير جوابا أمام نظرات أبيه الذاهلة و الغاضبة، و عاجزا عن تفسير ما أقدم عليه :"دون قصد، تمتمت بهذه الكلمات التي لم يسمعها أحد : أنا ضائع"[13]

إنّ هذه الكلمة التي همس بها "مارسيل" الطفل، تعكس حالة التوتر الداخلي الذي يعانيه إزاء الحرمان من قبلة الأم ، أو -إن شئت- الحرمان من امتلاك الأم جسديا. و عدم إشباع هذه الرغبة الملحة، المستبدة، سيورث في نفسه ألما رهيبا . لذلك فالقبلة ههنا – كما يعبر "ميشال شنيدر" (Michel Scheneider) في صدد حديثه عن علاقة "بروست" بأمه – هي "ترياق للألم بوصفها تعبيرا عن كوننا محبوبين".[14]

و لذلك ، فإن تحققها هو مدخل للشعور بالرضا و الامتلاك ، و غيابها يعني الشعور بالإحباط والخواء، و من ثم الضياع. فلا غرو، أن يصفها بالأمر الخطير في رسالته كأنما هي التي ستحدد ملامح مستقبله. و لعل الأمر هو بالفعل كذلك إذ سيكون لهذه التجربة المثيرة أثرها في حياته ، بعد البلوغ.

و مهما يكن ، فإن الوسيلة لحصول "مارسيل" الطفل على حاجته هي في إبعاد شبح أبيه * عن تهديد طموحه في منافسته على امتلاك الأم ، و لذلك سيسعفه الحظ، في تلك الليلة المتميزة، بأن يظفر ببقاء أمه إلى جانبه طوال الليل، تكفكف

دموعه وتحكي له حكايات من كتاب (François le champi). يقول واصفا هذه التجربة التي لن تتكرر :"كنت أعلم بأنّ ليلة كهذه، لا يمكن أن تتجدد، و بأنّ أعظم أمنية لي في هذا العالم، و هي الاحتفاظ بأمي في غرفتي خلال هذه الساعات الليلية الحزينة ، كان يتجاوز الحدّ لتعارضه مع ضرورات الحياة و مطالب الجميع، لكون المهمة التي أنيطت بأمي، هذا المساء ،لن تكون أكثر من كونها متكلّفة واستثنائية"[15].

و لعل إحدى أهم هذه الضرورات و المطالب التي تخضع لها الأم، و تحول دون انصرافها للطفل هي خدمة الزوج/الأب. و هو ما سيجعل "مارسيل" الطفل يقتنع حاليا بأن امتلاك الأم في الواقع أمر مستحيل المنال. و لذلك لن تأتي الأم مرّة أخرى لتهدئة مخاوفه حين تعاوده ، وهو ما جعله يأنس على مضض إلى هذه الحقيقة. يقول "في الغد، عاودتني مخاوفي، لكن أمي لم تبق معي. غير أنّ مخاوفي هدأت، و لم أفهم سرّ ذلك، و في مساء الغد، كانت بعيدة أيضا، كنت أقول في نفسي بأنه سيكون لدي الوقت لتدبّر الأمر، مع أنّ هذا الوقت المتاح لم يكن ليحمل لي أي مزيد من الفرج، ذلك أنّ هذا الأمر لا يتوقف على إرادتي، و هو ما جعلني أرى من الصعب تجاوز المسافة التي تفصلها عني"[16].

هكذا إذن ، و على هذا النحو الاستسلامي، يتكيف "مارسيل" مع الواقع الجديد و تداعيات التجربة بكل ثقلها و قسوتها في لا وعيه ، لذلك كان يقول :" غير أنّ مخاوفي هدأت، و لم أفهم سرّ ذلك"[17] إذ باتت أمّه من تلك اللحظة -بالمفهوم التحليلي- محرّمة عليه و مع ذلك ظل يحافظ على عدم فقدان محبتها له. فقد ظلت تحوطه بالرعاية، و تبدي نحوه مزيدا من العطف لحساسيته المرضية. لذلك نرى أن

"مارسيل" عندما ينضج شيئا ما، و يبلغ سن الثانية عشر، سيتغير موضوع الحب عنده، إذ سيغرم بصبيّة من أترابه ، تدعى "جلبرت"(Gilberte) ابنة السيد "سوان" ، غير أنّ هذه المغامرة الطفولية البريئة و العابرة لم تتجاوز حدود معاناتها في صمت و خجل ، إذ سرعان ما تلاشت في تلافيف النسيان. و مع أنّ هذه المحاولة الغرامية الطفولية لم يكتب لها النجاح، و لا أن تدوم طويلا، إلا أنّها دلّت على الطبيعة الرومانسية الحالمة لـ "مارسيل" الطفل في علاقته بالجنس الآخر، فقد أبدى منذ طفولته المبكرة ميلا شديدا نحو الأدب ممّا جعل إحساسه بالحياة إحساسا شعريا يتغذى بالموهبة الأدبية التي طالما ساورته إزاءها الشكوك. و إذا تركنا هذه التجربة المبكرة جانبا بأصدائها الرومانسية، و اتجهنا بالتدرج في الزمن إلى تجربته المثيرة الناضجة بعد البلوغ مع "ألبرتين"(Albertine) التي تعرّف إليها بمدينة "بلباك" (Balbec) الشاطئية، والتي اتخذ منها رمزا إلى عالم "سدوم وعمورة" (Sodome et Gomorrhe)، لما تحفل به من الأشخاص المثليين (Homosexuelles)، فإنه يصعب علينا أن نعثر عند "مارسيل" الشاب تحديدا، في تجربته الغرامية الجديدة، أساسا أوديبيا، يدعم فرضيتنا بوجود هذه العقدة الدافعية، اللاشعورية في حياته الجنسية، إذ لم ترد أي إشارة في الرواية لأيّ اضطراب من هذا القبيل في معاشرته لـ"ألبرتين" ، التي اكتشف فيما بعد أنّ السّر وراء هروبها هو شذوذها الجنسي. إنّ "مارسيل" الراوي / البطل ، من هذه الناحية ، هو شخصية سوية ، لم تمتلك أو مقوّم أنثوي، يجعل من تجربة "لتحريم' دافعا لا شعوريا لاضطراب سلوكه الجنسي بـ البلوغ. لكنّ هذا، في نظرنا، ضرب من التضليل للقارئ ينتهجه المؤلف "بروست"

لرسم صورة سامية لراويه و بطله المكتوب الذي يحمل اسمه نفسه "مارسيل"، والمتماهل إلى حدّ معيّن مع هوية الكاتب.

إن الكثير من الدارسين و النقاد أشاروا إلى ميول "بروست" المثلية في دراساتهم لسيرته. و لأنّه كان يخجل أن ينعت بوصفه مثليا، و يتألم لذلك، كما كتب "دانيال هالفي" (Daniel Halévy) قائلا :" لا تعتبرني مثليا، إن هذا يؤلمني. أخلاقيا، أحاول و لو من باب اللباقة، أن أبقى نقيّا"[18]، فإنّه حاول في روايته "البحث" أن يجرّد الراوي و البطل "مارسيل" من هذا النزوع اللاأخلاقي الشاذ، لتقترن صورته في ذهن القارئ بالنقاء و السمو باعتباره ممثلا رمزيا له من ناحية معينة. غير أنّ "أنا" بروست لا تمثله صورة الراوي فقط، إذ تقمصتها عديد من شخصياته الروائية ، و"كل شخصية هي قليلا أو كثيرا الوجه الآخر لـ[بروست] الكاتب"[19].

و لعل السبب في تقسيم "أناه" على هذا النحو إلى"أنوات" في روايته هو – كما يذكر "ناديه " – رغبته في أن تفلت منا "أناه" السطحية ،البغيضة – كما اكتشفها المخطوطات – و أن نتعرف ، بخلاف ذلك على أناه العميقة، فهو ذاته خلال عمله،وفي الوقت نفسه "سوان" (Swann) و"شارلوس"(Charlus) و"برغوت" (Bergotte)، و "إلستير" (Elstir) و"فنتاي" (Vinteuil) "الراوي نفسه" ، و جميع موجوداته الروائية...[20]

و لعل الشخصية التي تهمنا ههنا، في معرض حديثنا عن الأساس الأوديبي لشخصياته الروائية ، هي شخصية البارون "دو شارلوس" (Baron de Charlus) ، الذي تعرف إليه الراوي في "بلباك" (Balbec) ، فـ "شارلوس" باعتباره الوجه الآخر الناقص لشخصية الراوي، فنحن لا نعلم عن طفولته شيئا ،

و هو الجزء الذي يغيب عنا في الرواية، ويجعلنا لا نملك الأسس النفسية التي تفسر لنا سلوكه في الحاضر، في حين توجد هذه الأسس في طفولة الراوي. وهذا ما يجعلنا نعتقد بأنّ حاضر "شارلوس" هو امتداد طبيعي لطفولة الراوي، وكلاهما يمثل في النهاية وجهين من وجود المؤلف "بروست". و لعل ما يوثق الصلة المعنوية بين "شارلوس" والراوي هو اتصافهما ببعض السمات المشتركة ؛ من مثل سعة الثقافة، و معرفة الفنون، و التاريخ، و حب الجمال، و مع ذلك كان "شارلوس" ماسوشيا* ' محنثا ، فقد جمع في شخصيته بين المثالية الرجولية و الطبيعة الأنثوية. و هو ما يشير إليه "برنار غروس" (Bernard Gros) حين يصف "شارلوس" بأنه " رمز التناقض، لقاء المتناقضات، الكائن المزدوج أو المخنث"[21].

على هذا النحو ،يمكن إثبات أثر العقدة الأوديبية ، في العمل البروستي، فليس شارلوس إلا امتدادا رمزيا مستقبليا لماضي الراوي، إذ تحول تلك التثبيتات الليبيدية القديمة للأنا البروستي على النضج الطبيعي لدوافعه الجنسية بعد البلوغ ، فتبقى رهينة الشعور بالتهديد أو عقدة الخصاء في اللاشعور ، مما يجعل شخصيا كـ"شارلوس" (Charlus) تحت وطأة النكوص*، تميل إلى ممارسة سلوكها الماسوشي، مستعذبة الجلد بالسياط.[22]

و مع هذا، يمكن تقديم قراءة أخرى لا تقل أهمية عن القراءة الأولى لسلوك الراوي ، فالإخفاق الذي مني به الراوي في علاقاته بالنساء (تجربته مع جليرت ثم مع ألبرتين) سيؤدي إلى إلغاء فكرة الزواج نهائيا، على الرغم من أنّ هذه الفكرة كانت قد راودته في علاقته بـ "ألبرتين" ، لكن الأوان كان قد فات باختفاء رهينته ثم وفاتها الغامضة. كل هذا سيدفعه إلى التخلي عن أهدافه الجنسية ، و ذلك بسحب الطاقة

الجنسية (déscxualisation) منها وإعلائها* تم تحويلها إلى طاقة نرجسية ** أي بسحب الليبيدو من الموضوع إلى الذات ، وهو ما تماشى مع الراوي حين تخلى عن نزعاته الدنيوية (Pulsions citadines) و اتجه إلى التفكير في تجسيد مشروع الكتابة الإبداعية بعد أن أحس بأن الوقت لم يعد كافيا لتأجيل هذا المشروع. و معها لم يعد موضوع العشق هو المرأة بوصفها موضوعا خارجيا ، و إنّما هو الذات بوصفها موضوعا يعشق وهدفا يستلذ.

الهوامش :

1 - Jean yves Tadié :Encyclopédie française, Universalis, 2004

2-« La seule œuvre que Proust ait entendu nous léguer, la seule qu'il ait conçue comme une création définitive, un monde complet où sa pensée et son cœur peuvent se retrouver tout entiers »

Georges Gattauï : Proust. P.U.F. 1958, P. 61.

3-مج من المؤلفين : بروست. تر. لطيفة ديب. منشورات وزارة الثقافة سوريا دمشق. 1992. ص. 46.

4-Pierre louis Rey : Encyclopédie française, Universalis,2004.

5-ينظر : فيرز ب.فريديريك ، ديفيد هنري مالوت ، حدود الأدب المقارن. تر : عبد الحكيم حسان. ط. I. مركز الحضارة العربية ، القاهرة 2003. ص. 645.

6- Pierre louis Rey : Encyclopédie française, Universalis2004

7- Jeans Yves Tadié : Encyclopédie française, Universalis2004

8- جورج طرابيشي، الروائي و بطله (مقاربة اللاشعور في الرواية العربية) ، دار الآداب ، ط1، 1995 ، بيروت، ص.07 .

9-المرجع نفسه ، ص نفسها .

10-ينظر، سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي ، ترجمة سامي محمود علي وعبد السلام القفاش، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2000 ، القاهرة ، ص 94...88

11- « Je me quittais pas ma mère des yeux, je savais que quand on serait à table , on ne me permettrait pas de rester pendant toute la durée du diner et que pour ne pas contrarier mon père , maman ne me laisserait pas l'embrasser à plusieurs reprises devant le monde, comme si ç'avait été dans ma chambre. Aussi je me promettais, dans la salle à manger, pendant qu'on commencerait à diner et que je sentirais approcher l'heure , de faire d'avance de ce baiser qui serait si court et furtif, tout ce que j'en pouvais faire seul de choisir avec mon regard la place de la joue que j'embrasserais, de préparer ma pensée pour pouvoir grâce à ce commencement mental de baiser consacrer toute la minute que m'accorderait maman à sentir sa joue contre mes lèvres » Proust, A la recherche du temps perdu, édition en un volume ,sous la direction de Jean-yves Tadié, , Gallimard, Paris , 1999, P 31

12- « J'écrivis à ma mère en la suppliant de monter pour une chose grave que je ne pouvais lui dire dans la lettre » ibid, P.32

13- « Sans le vouloir, je murmurais ces mots que personne m'entendit : "je suis perdu !" » ibid, P38

14- « Michel scheider, La robe de maman, magazine littéraire, op. cit, P. 31

* لعل صورة لتمرد البروستي على الأدب في "البحث" تتمثل في تحجيم ذكر الأب في الرواية.

15- « je savais qu'une telle nuit ne pourrait se renouveler, que le plus grand désir que j'eusse au monde, garder ma mère dans ma chambre pendant ces tristes heures nocturnes, était trop en opposition avec les nécessités de la vie et le vœu de tous, pour que l'accomplissement qu'on lui avait accordé ce soir pût être autre chose que factise et exceptionnel » . A la recherche du temps perdu, op. cit, P. 43.

16- « Demain mes angoisses reprendraient et maman ne resterait pas là. Mais quand mes angoisses étaient calmées, je ne les comprenais plus, puis demain, soir était encore lointain. Je me disais que j'aurais le temps d'aviser, bien que ce temps-là ne pût m'apporter aucun pouvoir de plus, puisqu'il s'agissait de chose qui ne dépendait pas de ma volonté et que seul me faisait paraître plus évitables l'intervalle qui les séparait encore de moi » ibid, P. 43.

17- « Mais quand mes angoisses étaient calmées, je ne les comprenais plus » . A la recherche du temps perdu op.cit, P. 43.

18- « Ne me traite pas de pédéraste, cela me fait de la peine, Moralement je tâche, ne fût ce que par élégance, de reste pur » - Jean Yves Tadié, Chronologie, Magazine littéraire, P. 09.

19- « Chaque type est ainsi, plus ou moins, le double de l'auteur » - Georges Gataui, Proust, P.65.

20- Voir Jean Yves Tadié, Proust, Universalis, 2004.

المازوشي من الماسوشية (Masochisme) ، و تعني "اشتقاق الفرد للذة من إيلام الآخرين بتعذيبه و توجيه العدوان إليه، سواء أكان عدوانا ماديا كالضرب و الإيذاء البدني ، أم عدوانا معنويا كتحقير الفرد و إهانته ، وجرح كرامته، والسخرية منه و إظهار هوان شأنه، و دنو منزلته، و عدم اعتبار مشاعره، و عرقلة مصالحه، و الوقوف في وجهها. وغالبا ما تمتزج الماسوشية بالنشاط الجنسي للشخص ذي الطابع الماسوشي، فلا يجد لذته الجنسية إلا عندما يعذبه محبوبه و يوقع عليه الأذى و الضرر ماديا أو معنويا ، سواء قبل الفعل الجنسي أو أثناءه"

عبد القادر و محمد أحمد النابلسي : التحليل النفسي –ماضيه و مستقبله- ، دار الفكر ، ط01 ، 2002 ، دمشق، ص. 648.

21- « Charlus est le symbole de l'ambivalence, de la réunion des contraires, l'être double ou l'androgyne ». Bernard Gros Proust. P. 43.

النكوص (Régression) يعني حيلة لاشعورية من حيل التوافق، تسلكها الشخصية بالعودة إلى أنماط من الدوافع أو من السلوك أو من كيفيات الإشباع